

الوعي الزائف وصناعة العبد

فجأة في إحدى المدن ابتسم الجميع ليس لأنهم يشعرون بالفرح، بل لأن إحدى شاشات العرض وسط المدينة كتبت عبارة: "ابتسموا فأنتم أحرار"، في هذه المدينة لا أحد يصرخ، ولا أحد يحتاج، ولا أحد يجرؤ على التفكير خارج الإطار المرسوم، ولا أحد يسأل لماذا؟ باختصار لأنه أحد أفراد القطيع.

هذه ليست بداية قصة خيالية، بل هو واقع يعاد نسجه يومياً بخيوط غريبة خفية، يصنع عقولاً مبرمجة ترى في العبودية اختياراً، والجهل قناعة والظلم قانوناً وفي الذل حكمة والرضا بالظلم واقعية وفي الخنوع وطنية.

هنا تبدأ الحكاية...

حكاية صناعة العبيد باستخدام أخطر أدوات المهيمنة على الشعوب ألا وهو الوعي المزيف الذي يجعل العبد يرى الواقع بعين غيره ويفكر كما يراد له أن يفكر ويعيش وهم الحرية بينما هو يقاد كالقطيع، يخشى التفكير ويقدس السلطة ولا يطالب بحقوقه متهرباً من التغيير إلى التسلیم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾!

وعي يزيف الحقائق ويخدر الشعوب ويجعل العبد راضياً بقيده بل يدافع عنه، ويصفق له لأنه يرى أنه في القيد أماناً، فهو يعيش في عالم من صناعة أعدائه لكنه مقنع أنه عالم صنعه بنفسه، هنا في هذا العالم حيث تختزل الحرية في شراء هاتف أو بيت أو تغيير جنس أو دين، بينما يعتبر التمرد خيانة، عالم أعيد فيه تعريف القيم لما يخدم السلطة لا الحق.

هل أدركتم يوماً عبارة "عبيد العبيد عبيد" فالحاكم عبد للغرب، والشعوب عبيد للحاكم الذي جعل من إعلامنا منصة لتحويل الكذبة إلى حقيقة كلما تم تكرارها، مترجمة العقول لترضى بالواقع وتكابر التغيير لأن نتائجه مجهولة حتى أصبح الخوف ثقافة، إعلام يغرقنا بسرديات غريبة قائمة على وقائع مزيفة تزين لنا الغرب كنموذج مثالي لا بد من تقليده واتباعه، وتركز على إظهار الإسلام بمظهر متطرف ومتخلف لا يصلح لزماننا هذا، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وجعل من مساجدنا منابر لرفع شعارات دينية مفرغة من مضمونها الحقيقي ، تدعى للقبول بالطغيان وطاعة (ولي الأمر) وإن كان ظلماً أو غير مطبق لشرع الله، كما ترفع خطابات دينية مفصلة على مقاس السلطة ترى في الجهاد ضد المحتل دماراً وفي الاستسلام ازدهاراً، قال تعالى: ﴿اَتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اُرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

أما جامعاتنا فقدت تخرج أجيالاً تحفظ ولا تفهم، تتبع ولا تسأل، نلهث وراء وظيفة وزواج، أجيالاً باتت عبئاً لا منتجة.

أصبحت أحلامنا استهلاكية سطحية غارقة في تفاصيل دنيوية ولا تحمل أهدافاً سامية بل مستسلمة للواقع.

وهكذا بُنيت الحظيرة على هذه الأسس الأربعة، ليقاد القطيع ضمن حلقة بكلام رضاه ليس مجبراً بل مقتنع بواقعه ويرفض أي محاولة لتحريره بل يدافع عن سجنه، حتى إذا تذمر من واقعه، بدأ بلوم نفسه وجملها بدلاً من لوم من صاغ واقعه المزيف!

إن هدم هذه الركائز الأربع من شأنه كسر هذه الحلقة من خلال إحياء التساؤل لا التسليم، ونشر الوعي النقدي لا التقيني، واستعادة الدين من غربوه ودجنه و العمل على إعادة مشروع الدولة الإسلامية التي تحرر الإنسان لا تستعبده. فمعرتنا الحقيقة بوصفنا حملة دعوة ليست على الأرض بل على الوعي، فالجاهل يتم تعليمه لكن المضلّل أشد خطراً لأنّه ليس بجاهل بل مبرمج بأسوأ أنواع البرمجة المخضبة برسائل خفية تجعله يظن أنه حر بينما هو عبد، يرى في الظالمولي نعمته وفي الذل استقراراً وفي التبعية ضرورة وطنية. فدعوتنا ليست تمرداً بل نداء للعودة إلى الفطرة السليمة، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إلى ذاك الطفل الذي لم يبرمج بعد ولم تصادر أحلامه، ل طفل يسأل لماذا لا نستطيع الطيران سؤال عن الحرية، عن حق الاختيار، عن رغبة في رؤية العالم كما هو لا من خلال ما يصنعه الإعلام أو التعليم المبرمج في قصص الأطفال أو أناشيد الصباح أو صورة حاكم معلقة على الجدران.

هدفنا إعداد جيل يشك في الإجابات الجاهزة ويقاوم التقين، جيلاكتشف أن ما تعلمه لم يكن إلا وعيًا زائفًا يخدم السلطة وعدوه، ويقتل أحلامه باسم الواقعية والخوف، جيل واع تحرر من عبودية آباءه وأجداده، يسعى لنهاية أمتة وتكسير قيود سجنه، يدرك أن حريته تبدأ بعبوديته لله الواحد فقط، متطلعاً من أي شرك خفي، مدركاً أن حياته ورثته وموته بيد الله لا بيد حكامه، وأن الحرية لا تعني تلبية الرغبات أو الشهوات كما يدعوا لها الغرب، بل حريته تبدأ من لحظة تحرره من نفسه وإخضاعها لله، فهو لا يخشى في الحق لومة لائم وإن كان أمام سلطان جائر، قال الله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾. جيل أدرك لماذا خلق لي عمر الأرض ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مطابقاً قول رسولنا ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُّنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلِيَسْأَلْهُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلِيَقْلِبْهُ، وَذَلِكَ أَضْعَافُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم.

وهكذا نكون قد جهزنا لمعرتنا المشودة، بجيشه المؤلف من جيل مسلح بالوعي الحقيقي المبني على الكتاب والسنة لاستعادة خلافتنا الراشدة على منهاج النبوة التي تحرر الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار فيهنَا في الدنيا ويكسب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الظَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

منال أم عبيدة